حريق المدرسة وحريق التعليم

نشرة الإصلاح العدد 306 بتاريخ 18 مارس 2001

حين اندلع الحريق في مدرسة البنات في مكة تتابعت المقالات في الصحف كل يدلي بدلوه في محاولة -فيما يزعمون- لتشخيص المشكلة وتحديد المسؤول وطرح حل لها ومنع أمثالها في المستقبل. لكن ليس غريبا في بلادنا أن تكون هذه المقالات محصورة بسقف منخفض جدا يستحيل ان يصل فيه الكاتب مهما أوتي من القدرة التحليلية إلى التشخيص الصحيح. وقبل أن نتحدث عن مسؤولية جهة معينة نشير إلى بعض المعلومات المهمة في معرفة المشكلة في أبعادها الحقيقة:

أولا: خلافا للعدد المنشور للوفيات فقد تجاوز عدد الوفيات الستين ثلاثة من المدرسات والبقية من الطالبات.

ثانيا: مات عدد كبير بنتائج الحريق التقليدية وهي النار والدخان بخلاف المزاعم أن معظمها من الزحام.

ثالثا: كانت تبلغ سعة المدرسة أربعمائة وخمسين طالبة فقط بينما يدرس فيها ثمانمائة طالبة.

رابعا: تقع المدرسة بين عمارتين في مكان ضيق ولها باب واحد فقط على الشارع الجانبي الضيق ومفتاح الباب عند الحارس ولا توجد نسخة عند شخص آخر.

خامسا: بدأ الحريق الساعة الثامنة صباحا وتم إبلاغ الدفاع المدني فورا ولم يصل الدفاع المدني إلا الساعة الثامنة وخمس وثلاثين دقيقة، بعد أكثر من نصف ساعة من بداية الحريق.

سادسا: لم يمر على المدرسة ولا على غيرها من المدارس أي جهاز فحص لإجراءات السلامة لأن ذلك لا يعتبر من نظام المدارس. ومع ذلك اجتهدت إدارة المدرسة وبلغت رئاسة تعليم البنات عن عيوب أساسية في المبنى يمكن أن تؤدي بكارثة في أي وقت.

سابعا: سبق حادث الحريق في مكة حادث انهيار مبنى في مدرسة أخرى في المملكة وتبعه كذلك حادث انهيار مبنى لمدرسة أخرى في جيزان وحريق آخر كبير في الجوف.

ثامنا: تتبلغ رئاسة تعليم البنات بشكاوى وخطابات تحذير من معظم مدارس البنات في المملكة وتقوم الرئاسة بإحالتها على شكل تقرير جماعي ومطالب بدعم مادي وتحسين ميزانية الرئاسة ولكن بلا استجابة.

تاسعا: تبلغ نسبة المدارس المستأجرة في رئاسة تعليم البنات ثلاثة أرباع العدد الكلي للمدارس التابعة لها.

عاشرا: يبلغ معدل عدد الطلاب لكل فصل في المدارس الحكومية للبنين والبنات في المملكة حوالي خمسين طالب أو طالبة لكل فصل وهذا الرقم هو مرتين ونصف المرة لأقصى معدل مسموح به عالميا.

حادي عشر: تبلغ ميزانية كل المرافق التعليمية في المملكة مجتمعة بما فيها المعارف وتعليم البنات والجامعات والمعاهد ومحو الأمية أقل من ثلاث أرباع ميزانية الدفاع خلال كل السنين الفائتة. هذا بالنسبة للرقم الرسمي المنشور أما الرقم الحقيقي فأقل من ذلك بكثير.

ثاني عشر: تبلغ تكاليف رحلة أي أمير من الأمراء الكبار أو صيانة قصر واحد من قصورهم أكثر من ميزانية منطقة تعليمية كبرى في المملكة لسنة كاملة.

ثالث عشر: تعيش المدارس من ناحية توفر مستلزمات التدريس والنظافة والصرف الصحي والتكييف وضعا مزريا جدا، وفي المقابل يذهب أبناء الأمراء لمدارس لا تقل رفاهية عن اوضاع قصورهم.

رابع عشر: يتم اختيار وزير التعليم ورئيس تعليم البنات ووزير التعليم العالي والمسؤولين الآخرين عن مرافق التعليم الأخرى بناء على أسس ومواصفات تناسب العائلة الحاكمة فقط وليس بناء على مصلحة التعليم في بلادنا. كما يتم تحديد السياسة التعليمية وميزانية التعليم كذلك بناء على قرارات الأسرة الحاكمة فقط ولا يرأس المجلس الأعلى للتعليم إلا أمير.

خامس عشر: قبل أسابيع قررت المملكة وبدون مقدمات أن تتبرع لمصر بمبلغ مئتي مليون دولار لتحسين أوضاع المدارس في مصر ولم تخجل السلطات السعودية أن كررت الخبر بارسال الدفعة الأولى قبل يومين.

سادس عشر: إن كانت مشكلة الحريق قد كشفت انهيار وسائل السلامة وفشل الدفاع المدني في سرعة الحضور وكشفت سوء التدبير من الجميع فإن الوضع التربوي والأداء الأكاديمي يكشف أوضاعا مأساوية للمدرسين وتأهيلهم وقدراتهم ومع ذلك لا يوجد أي وسيلة لمتابعة هذا الأمر وضبطه وقياسه.

أين المشكلة إذن؟

مع هذه المعطيات يتضح جليا أن أولئك الذين حملوا رئاسة تعليم البنات المسؤولية أو حملوا هيئة الأمر بالمعروف المسؤولية هم غاية في السذاجة والبساطة أو إنهم يتعمدون تبرئة المسؤول الأول الذي أدى لأن يصبح التعليم أولى ضحايا

الفساد الإداري والمالي. وحين تصير ميزانية التعليم جزءا صغيرا فقط مما ينتهي في جيوب الأمراء ويصير حق الأمير وحاشيته أغلى من كل مدارس المملكة وطلابها وطالباتها فلا غرابة أن تنتهي القضية لما انتهت إليه.
لكن المدراس لم تكن ضحية التقصير في الدعم المالي فقط بل إنها أصبحت بذاتها ميدانا للفساد الإداري من قبل الأمراء. فقد أعلن قبل أقل من عام من أن شركات أمريكية قد نجحت بعقود تبلغ قيمتها 13 مليار ريال لبناء مجموعة من المدارس تضاربت الأرقام والمعلومات عنها، وتبين أن المستفيدين من هذه العقود أشخاص فوق مستوى وزير التعليم وأن القيمة الحقيقية أقل بكثير من القيمة المرصودة والزيادة المرصودة إنما رصدت لجيوب المنتفعين. بل إن الشركات الأمريكية لم تجد صعوبة في تحويل العقد كله لشركات الباطن وأخذ معظم العمولة الكبيرة مع ممثليها الكبار في المملكة. شكل آخر مخجل من أشكال الفساد المالي هو استيلاء الأمراء على شركات تشغيل مقاصف المدراس حيث أسست شركات خاصة من قبل الأمراء لتشغيل هذه المقاصف وألزمت المناطق التعليمية بهذه الشركات بالذات.

من المسؤول؟

تتحمل رئاسة تعليم البنات ولا شك مسؤولية كبيرة سواء في منع الكارثة أو في حسن التعامل معها. ولا تعذر الرئاسة في أنها كانت تطالب بدعم مادي ولم يحصل هذا الدعم لأنه لو كان هناك حرص حقيقي لأمرت الرئاسة بإيقاف الدراسة في المدرسة إلى أن يتوفر الدعم. كما إن هناك إجراءات وقائية أو في التعامل مع الحادث ليس لها علاقة بالدعم المادي ولا بسياسة الدولة كان يمكن أن تخفف المصيبة على الأقل لو أخذتها الرئاسة بالحسبان.
ويتحمل الدفاع المدني جزءا كبيرا من المسؤولية، ولا يمكن أن يفسر التأخر لخمس وثلاثين دقيقة إلا بعجز هائل في أداء هذا الجهاز. نعم نقر بأن الدولة تتعامل مع الدفاع المدني وكأنه مؤسسة منسية لكن هذا لا يعفي المسؤولين في الدفاع المدني من القيام بواجبهم بقدر ما لديهم من إمكانيات.
أما ما يقال عن الهيئات فهراء أثاره أحدهم واستفادت منه الدولة حين انقلب الجدل في البلد كله إلى مسألة اتهام ودفاع عن الهيئات. وللعلم فإن الدفاع المدني لديه أوامر مبنية على قواعد شرعية بأن يقتحم أي حاجز ويكسر أي باب بدون استئذان أحد في حالة الحريق.
لكن مع أخذ المعطيات أعلاه بالحسبان فإن مسؤولية الرئاسة ومسؤولية الدفاع المدني تتضائل أمام مسؤولية الأسرة الحاكمة متمثلة في أصحاب القرار الكبار الذين يرسمون سياسة البلد ويمسكون بزمام المال والقرار والتعيين. هؤلاء هم المسؤولون حقا عن العجز عن منع الكارثة وعن سوء التعامل معها. وإن كان هناك محاسبة فإنما توجه لهم بشكل رئيسي وليس للرئاسة ولا للدفاع المدني. وأما قول الأمير عبد الله بأنه بريء ممن تسبب بهذه الكارثة فهو إنما يبريء نفسه من نفسه فهو المسؤول الأول عن هذا الحادث لكنه لا يدرك أو لا يريد أن يدرك أنه هو المسؤول.

ما العمل؟

لو كان الحال في بلادنا يسمح بالمحاسبة النظامية للمسؤول لكان الحل هو أن تشكل لجنة عليا يرأسها قضاة من أفضل القضاة نزاهة وأمانة وبعضوية أخصائيين في الحريق والتعليم والمالية وغيرها من الجهات المعنية، وتعطى اللجنة الحرية الكاملة لتحديد المسؤولية والتوصيات. لكن من البديهي أن الحال في بلادنا لا تسمح بذلك، ولذا يبقى السؤال الأهم: هو ما الحل أمام استحالة تشكيل مثل هذه اللجنة المثالية؟ الحل مرتبط بمشروع الإصلاح الأشمل وهو ضرورة السعي لتغيير سياسي يصبح فيه للأمة كلمتها ودورها في القرار والمحاسبة، وعندها فقط يمكن تعيين القوي الأمين ورصد ما يكفي من الأموال لشؤون التعليم ورسم سياسة واستراتيجية تعليمية تضع مصلحة البلد والأمة قبل مصلحة الأفراد والمنتفذين.

سحب الاعترافات
حيلة لم تخطر ببال الحركة

كنا نمزح!!

لا ـ لم نفجر ولم نضع قنبلة وكل اعترافاتنا تأليف وكذب!! هكذا قال المتهمون الغربيون بالتفجيرات في المملكة طبقا لمحاميهم. حسنا ما دام هذا هو الدليل الوحيد على جريمتكم فالقضية ضدكم انتهت ولم يعد بيننا وبينكم إلا تصنيع الخمر وتوزيعه!! هذا رد وزارة الداخلية. هذا أخيرا ما تفتق عنه ذهن الأمير نايف من حيلة للتخلص من الحرج مع البريطانيين المحتجزين بعد أن شنت عليه وسائل الإعلام البريطانية حملة تكشف كذب هذه الاعترافات، وبعد أن هددته الحكومة البريطانية بأنها ستتخلى عن سياسة المجاملة والضغط الهاديء.

حيلة بارعة

لم تخطر ببالنا هذه الحلية وظننا من خلال ما تسرب أن الحكومة السعودية ترتب مع البريطانيين لتحويل القضية إلى قضية قتل جنائي وليس إرهابا، وبذلك يمكن التخلص من القتل بعفو ولي القتيل وقبول الدية ومن ثم عفو ملكي. لكن يبدو أن هذه الحلية أصبحت مستحيلة بعد مزاعم الأمير نايف أن سياسة المملكة تجاه الإرهاب صارمة ولذلك سيبدو التساهل في هذه القضية تساهل مع الإرهاب. وكان حل التراجع عن الاعترافات هو الحل الوحيد الممكن رغم أنه فضيحة لكن لا مفر للأمير نايف سواه.

ماذا قلنا سابقا

وكنا قد قلنا سابقا ونؤكد الآن أن هؤلاء الغربيين وإن تورطوا في توزيع الخمر وتصنيعه فليس لهم دخل في التفجيرات. وقلنا إن وزارة الداخلية تعلم أن المسؤولين عن التفجيرات هم من شباب الجهاد وقد شنت وزارة الداخلية حملة اعتقالات وقتها شملت حوالي سبعين فردا تكتمت عليها تماما. وقلنا إن إلصاق التفجيرات بهم دبر لتحقيق هدفين، الأول دفع احتمال وجود تحدي داخلي للدولة من قبل جماعات تؤمن باستخدام القوة وتستطيع أن تنفذ تهديداتها، والثاني الإمساك بمجموعة رهائن بريطانيين من أجل الضغط على الحكومة البريطانية للتضييق على الحركة وغيرها من الجهات التي لا يرضى النظام السعودي عن نشاطها. ولم يخطر ببال الأمير نايف وقتها أنه سيتورط في هذه البادرة الخطيرة ولذلك اندفع أكثر من اللازم في بداية مجازفته تلك حين اتهم بريطانيا بشكل غير مباشر بأنها خلف هذه التفجيرات وذلك في مقابلة مع الشرق الأوسط.

ماذا حصل؟

الـذي أدى بالأمير نايف للتراجع هو حملـة إعلامية قوية في بريطانيا بدأتها جريدة الغارديان ثم تبعها برنامـج خاص في البي بي سي وبرنامج آخر في القناة الرابعة. وكان واضحا في مقالات الجارديان والبرامج المذكورة أن المتهمين قد أجبروا على الاعتراف والتصوير لنفس الأهـداف التي ذكرتها الحركـة. كما إن هناك أنباء عن أن الحكومة البريطانية أخبرت الأمير نايف أنها توصـلت إلى قناعـة تامـة بأن رواية وزارة الداخلية السـعودية باطلـة وأعطت الأمير نايف مهلة لحل القضـية دون توتر علني بين البلدين فعجل الأمير نايف بهذه الحيلة.

محامون

الغريـب في هـذه القضـية أن المتهمين بهـذه التفجيرات لـديهم محـامون بخلاـف المتهمين بتفجير الريـاض الـذين قتلوا أو المتهمين بتفجير الخبر المعتقلين حاليا. السبب هو أن الجنس الأوربي له قداسة عن الأمير نايف والشعب البريطاني يجب أن يسـمع أن عنـدنا محـامين مثلمـا فعـل الأـمير نـايف مع الممرضتين التين أطلق سـراحهما قبل سـنتين رغم ثبوت القتل عليهما. أما العربي والمسلم وحتى أبناء البلد فليس لهم قيمة إلا إن كانوا من الأسرة الحاكمة.

هل تقرون الآن؟

تم بحمد الله بعد صبر الحركة وإصرارها بيان الحق وانهيار رواية الأمير نايف، فهل يقر الذين اندفعوا في تصديقها بأنها هراء وأن الاعترافات ملفقة؟ هل آن الأوان لهم أن يعترفوا بأن اعتراض الحركة كان في محله؟ أم إنهم لا يعدمون الجواب على أي سؤال؟

وتفجير الخبر

والآن وبعـد أن انفضـح الأمير نايف في تلفيق هذه الاعترافات للغربيين هل سـيأتي الوقت الذين يفضح بتلفيق تهمة انفجار الخبر للشـيعة؟ وهل لدى الذين كذبوا الحركة في رواية الغربيين الاسـتعداد الآن لتصديقها في حكاية الخبر؟ على كل حال نـذكر بأن وزارة الداخليـة لديها علم أكيد أن المتسـبب في انفجار الخبر شـباب من السـنة من المحسوبين على درائرة بن لادن وأن الشـيعة اتهموا بها لنفس الهدف وهو نفي وجود تحدي من قلب المجتمع في المملكة للنظام. ولزيادة المعلومات نؤكد أن وزارة الداخلية توصـلت إلى بعض أسـماء المتسـببين بالخبر وعلمت أنهم قد غادروا البلد وتوجهوا لأفغانستان منذ عدة سنوات.

هنيئا لك أخوانك يا ولي العهد

بل أقصد التطبيع بمعناه الحقيقي

بعد أن صرح مصدر دبلوماسي بأن مبادرة الأمير عبد الله لا تعني التطبيع الشامل بل تعني السلام الشامل، وبعد أكد الأمير سعود الفيصـل ذلـك في مؤتمر صـحفي في القاهرة عاد الأمير عبـد الله ليؤكـد في حـديثه للتلفزيونات الأمريكية أن كلامه يعني التطبيع بمعناه الحقيقي. وفسـر الأمير عبـد الله مفهوم التطبيع بشـكل واضـح حين قال إنه يقصد علاقة مع إسرائيل مثـل العلاقـة مع أي دولـة أخرى. بل إن الأمير عبـد الله تراجع حتى عن مسألة القدس واعتبر ترسـيم الحدود مسألة تعود للفلسـطينيين والإسـرائيليين وذلك في توطئـة لما تحـدثت عنه الإيكونومست من حـديث سـري بين الأمريكان وآل سـعود لمناقشة تنازل الفلسطينيين عن بعض الأماكن المقدسة لليهود على غرار ما كاد أن يتفق عليه في كامب ديفيد قبل عامين ونصف تقريبا.

اندفاع عبد الله مقابل ازدراء شارون

وبصـراحة لا نـدري ما هو سـر هذا الاندفاع من قبل الأمير عبد الله في الإصـرار على هذا الطرح الخياني في الوقت الذي تتوقع فيه الأمـة من الحكام شـيئا من الرجولة والمروءة. كل يوم يمر في فلسـطين يزداد قمع شارون وتزداد بطولـة أبناء فلسـطين. شارون من جهته يؤكـد للأـمير عبـد الله وغيره أنه يحتقره ويزدريه ويتعامـل مع الواقع دون التفـات لما يطرحه ويتصـرف بطريقة تدل على أنه لا يعطي أطروحاته أي قيمة. أما أبناء فلسـطين فيرسـلون الرسالة تلو الرسالة للأمير عبد الله وأمثـاله من خلال بطولاتهم أن لا أحـد خوّلهم بيع أرضـهم وعرضـهم وكرامتهم ودينهم ومقـدساتهم، وأن بطولاتهم هي التي ستقرر مصيرهم ومصير المحتلين وليس خيانات الخونة.

إسرائيل أحب إلينا من العراق

لكننـا نتسائـل تساؤلا آخر شبيها بما تسائلته القـدس العربي في افتتاحيتها اليوم، لماذا يعرض الأمير عبـد الله على شارون واليهود المحتلين تطبيعا كاملا مقابل انسـحاب من خمس فلسـطين فقط وبقاء احتلالهم لبقيـة فلسـطين ويتعهد لهم بذلك من الآـن، ولا يقبل بتطبيع مع العراق رغم انسـحابه من كـل الكويت؟ ولمـاذا يقبل الأمير عبـد الله بأن توجـد في إسرائيل ترسانة نووية ولا يقبل بمجرد اشاعة عن احتمال تصنيع العراق لاسلحة الدمار الشامل في المستقبل؟ ولماذا يكتفي الأمير عبـد الله بتطبيق قرار أعرج واحد للأمم المتحدة على إسـرائيل دون عشـرات القرارات ويتبرع من عنده بتطبيع مع اليهود، ولا يقبل إلا بتطبيق العراق لكامل قرارات الأمم المتحـدة بتفاصـيلها الكاملة وبالتفسـير الأمريكي التعجيزي فقط؟ هل كان اليهود المحتلون أقرب للأمير عبد الله من الشعب العراقي؟ أم إن شارون رحيم ودود إلى درجة أنه يسامح عن كل جرائمة ومجازره وتمد اليد له ويتم التعاون معه؟

التفسير هنا: أمريكا أولا
هـذا الانحدار في الخيانة يبين كم هي عظيمة ومهيبة أمريكا في ذهن الأمير عبد الله حتى لم يعد لله ولا للدين ولا للأمة ولا للعروبة قيمة عنده، وأصبح رضا أمريكا فوق كل رضا واستلطاف اللوبي الصهيوني هو الهدف الأول لمن يزعم أنه ولي أمر بلاد الحرمين. ونحن من طرفنـا نحمـد الله أن دار الزمـان دورته حـتى نطق الأـمير عبـد الله بعقيدته الحقيقية تجاه قضـية فلسـطين بعـد أن نعق الناعقون أمدا طويلا يطنطنون برجولته وعروبته وأن فلسـطين والقدس في قلبه. وهكذا وفر علينا الجهـد في إقناع المخدوعين بتلك الرجولـة والعروبـة. وهنيئا لعبد الله إخوانه الجدد الذين ارتضاهم وأحرج نفسه أمام الأمة من أجلهم وتآمر معهم من أجل قطع الطريق على أبطال فلسطين.

لا يلام مع سكوت العلماء
لكن لماذا نلوم الأمير عبـد الله على هـذا الحماس في شـرح خيانته والإصـرار على مبدأ التطبيع مع اليهود المحتلين والأـمة صامتـة لم ينبس واحد من علمائها ولا مثقفيها ولا كتابها بكلمـة؟ لماذا نلوم الأمير عبـد الله على اعتبار أمريكا هي العظيمة واسترضائها بإعلان أخوته للأسـرائيليين وعلمائنا يثبتون للأمير عبـد الله أنهم ليسوا ممن يلقى له حساب؟ لا نعتقـد أنه مر على بلادنا وقت سكت فيه جميع العلماء ولم يظهر منهم بيان ولا تسجيل موقف مثل ما يحصل الآن. وبينما نعتز في الحركة أننا أبرأنا الذمـة في ذلك وقمنا بما نظنه الواجب فإننا نعتقـد أن المهمـة لم تكتمل حتى يتم براءه الذمـة حقيقة باسم الأمة كاملة مما صدر عن الأمير عبد الله.

الموقف من ضرب العراق
مرة أخرى تقف المملكـة ضـد ضـرب العراق لسـبب بسـيط هو خوفهم من إزاحـة النظـام العراقي لإـن إزاحته تعني أزالة الحصار وإزالة الحصار يعني انهيار أسـعار النفط وهذا يعني انهيار الاقتصاد المعتمـد كليا على النفط ومن ثم انهيار النظام. وهذا التفسير هو الذي يتفق مع اللؤم والخيانة التي ظهرت في أتم صورها في مبادرة الأمير عبد الله.

عتيبي وسبيعي
ضحايا خالد بن طلال

قبل أيام قلائل أطلق الأمير خالـد بن طلال النار على شخصـين أحدهما من قبيلة عتيبة فأرداه قتيلا والثاني من قبيلة سبيع فتسـبب في إصابة بالغة له نوم على إثرها في العناية المركزة. و السـبب له علاقة بقضية إخلاقية لا نرغب في الدخول في تفاصيلها خوفا من التعريض ببعض العوائل.

هذه هي الملحقية
رسالة من أحد المبتعثين في أمريكا

الإخوة في الحركة الإسلامية للإصلاح
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
أتقدم إليكم بهذا التقرير المختصر عن الملحقية التعليمية في أمريكا والذي أعترف أنه جهد شخصي قاصر لكنني أتمنى من بقية المبتعثين أن يتمموه في المستقبل بمراسلتكم. (العناوين الفرعية من الحركة).

الملحق مزيد المزيد
عند الحديث عن وضع الملحقية التعليمية في أمريكا فمن الطبيعي أن تكون شخصـية مزيد المزيد أول ما يقفز إلى الذهن. شخص تجاوز السن القانوني وثبت فشـله في كندا قبل أن ينقل لأمريكا وكان سببا لكل مصيبة حلت على الطلاب في كندا وخاصة الأطباء الذين يتدربون هناك. ولم يترك المزيد خلفه في كندا إلا ذكريات الفوضى والفساد والمحسوبية. لكن تفاني المـذكور في خدمـة الأمير خالد الفيصل في أمارة عسـير قبل أن ينقل إلى كنـدا أدى لأن يرضـى عنه الأمير خالـد، ولك أن تتصور ماهي الميزات والمواصفات التي يتحلى بها من يحبه خالـد الفيصل!! المهم أن علاقته مع خالد الفيصل كانت شافعة له لأن يبقى في الملحقية رغم تكرار الشـكاوى منه وثبات أن الملحقية قطعة من الفوضـى وسوء الإدارة فضلا عن الفساد والمحسوبية.

لا وجود للتكنولوجيا
يأتي الطالب إلى أمريكا بعد أن تعامل مع الجامعات والمؤسـسات الاميركية وهو في المملكة عن طريق الانترنت والبريد الالكتروني فيظن أن الملحقية قد استفادت من كونها في أمريكا وأنها تحل كل شؤون الطالب الكترونيا ونادرا ربما تضطر أن تحسـم بعض المشاكـل بالهاتف. هـذا هو ظن من يأتي فماذا يجـد إذا أتى؟ يجـد أن موظفي الملحقيـة لا يعرفون خدمة إسـمها الانترنت ولا البريـد الالكتروني. وإذا لجأ الطالب للهاتف يكتشف أن من يحصـل على رد يعتبر من الفـائزين بجائزة نوبـل، أما الفاكس فنعم هناك رقم فاكس للملحقيـة ولـديهم أجهزة فاكس لكن العثور على الفاكس الذي تم إرساله يعتبر من إنجازات الألفيـة الثالثـة. تبقى المراسـلة البريديـة، ولك أن تتصور كم هي سـهلة على الملحقية أن يقولوا ضاع البريد. ولذلك يضطر الطالب أن يحل مشاكله بالسفر بنفسه حتى لو كانت مشاكل صغيرة.

الموجهون حيث لا توجيه
وتـدير الملحقيـة مسألـة الاتصالاـت بتوظيـف مجموعـة من الـذين يسـمّون موجهي الطلاـب، وهم موظفـون من مجموعة جنسـيات عربية يقومون بهذه المهمة وذلك سـعيا لتنفيذ برنامج الأمير نايف للسـعودة. ويظن المرء أن الموجهين متفرغين لخدمة الطالب وأن أي اسـتفسار أو اتصال من طرفه سـيلاقي قمـة الاهتمام لكنه يكتشف أن هناك موجه واحد لكل 2000

طالب، وحتى هـذا العـدد المحـدود من الموجهين غالبا ما تحال خدماتهم للسـفارة للقيام بدور مرافقين ومترجمين للأمراء والأميرات الذين يزورون أمريكا.

النظام حيث لا نظام

والمزعـج في تصـرف هؤلاء المشـرفين أن كلا منهم يتعامل مع مشاكل وقضايا الطلاب بشـكل مخالف للموجه الآخر وكل يـدعي أنه الأعرف بالنظام ويضـيع الطلاب مثلما هي "الطاسة" ضايعـة في الملحقية. لكن لماذا نلوم المحلقية و"الطاسة" ضايعـة في البلـد كله. ومن مظاهر ضـياع الطاسـة أن الطلاب غالبا ما تصـلهم اتصالات من الملحقيـة تستفسـر عن زملاء سابقين لهم قـد غادروا أمريكا منـذ سـنين، وبسـبب حماقة الملحقية وتخلف أساليب التوثيق لا تسـتطيع أن تعلم شيئا عن الطلاب إلا على طريقة "البدوي يمشي ويسأل".

صورة من الفوضى المالية

وتتجلى الفوضـى والفسـاد المالي في سوء التخطيط لعـدة أمور منها النوادي والمـدارس السعودية ومنها التكفل بالتأمين الصـحي للطلاـب. فحين يطلب المبتعثـون في مدينـة أو ولايـة بتكفـل الدولـة باستئجار مقر ما للنادي أو للمدرسـة ترفض الملحقيـة العقود طويلـة المـدى وتصـر على العقـد السـنوي رغم الفرق الهائـل في التكلفـة. أمـا الترتيب لامتلاـك مقرات والاسـتفادة منها بطريقة بعيدة المدى فمجرد ذكر هذه الفكرة يعتبر اقتراف جريمة. لكن لماذا نستغرب ذلك على النوادي والمـدارس السـعودية بينما مبنى الملحقية ومباني أخرى تابعـة للدولـة مثل ممثليـة المملكة في الأمم المتحدة مسـتأجرة بملايين الـدولارات منذ عشـرات السـنين، وفي المقابل دول غارقة في الفقر مثل موزمبيق تمتلك المبنى الذي تقيم عليه تلك الؤسسات.

صورة أخرى من الفوضى المالية

أما التأمين الصحي فمن الأمور المضحكة أن الملحقية تدفع عن طريق النقد المباشر ودائما يكون الدفع متأخرا فيضطرون دفع الفوائـد الربوية فتصـبح القيمة المدفوعة للبتعث الواحـد حوالي 20000 دولاـر بينمـا يمكن ترتيبها عن طريق شـركات التأمين بقيمـة لاـ تزيـد عن 3500 دولاـر فمن يـاترى المسـتفيد من هـذه البعـثرة في الأـموال؟ الأـمر الأشـد غرابـة هو أن المستشـفيات والمؤسـسات التي تقدم الخدمة الصـحية تشتكي من تأخير دفع الملحقيـة ثم تفاجأ بمبلغ دفع هو أكبر بكثير من المبلـغ المطلـوب إلى درجـة أن بعض هـذه المؤسـسات تسأل المبعثثين الـذين تعالجوا لـديها إن كانت الملحقيـة تقرأ الفواتير فعلا قبل إرسال الأموال. المشكلة أنه بعد أن يدفع أكثر من اللازم لا يوجد نظام يسهل استرجاعه.

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

ومـع كـثرة المشاكـل تشجع بعض المبتعـثين وكتبـوا رسالـة لـوزير التعليـم العـالي يشـتكون من حال الملحقيـة والإهمال والفوضـى التي يتعرضون لهـا. وكـان من ضـمن مـا طالب به المبتعثون رفع رواتبهم التي لم يحصـل عليها تغيير منـذ مـدة طويلة رغم التضخم المضطرد والارتفاع المسـتمر في تكاليف المعيشة. وقد أثبت المبتعثون في رسالتهم أن الفرد الواحد لا يكاد يعيش إلا كفافا بمسـتوى الرواتب الحالية خاصة في بعض الولايات والمدن التي تزداد فيها تكلفة السكن والمعيشة. كما طالب المبتعثون إن لم يمكن ذلك أن يتم على الأقل أخذ الفوارق لبعض الولايات والمدن واستحداث نظام يغطي هذه الفوارق في تكلفـة المعيشـة. وتبين من طريقـة تعامـل وزير التعليم العـالي مع الخطـاب أنه ليس بيـده حـل ولا ربط وأن "القول ما قالت حذامى" ومن كان لديه طلب فليتقدم لـ "ابن سعود". عمل المبتعثون بهذه القاعدة وقدموا الخطاب للأمير نايف خلال زيارته لأمريكا قبل الأحـداث رغم أنهم يتسائلون منطقيا كيف يكون وزير الداخليـة أكثر مقـدرة على التعامل مع شؤونهم من وزير التعليم العالي؟ وكان رد الأمير نايف على الخطاب ظريفا وهو أن "شـرّه" الذين كتبوا الخطاب بكم دولار ربما تشجيعا لهم على اعتباره مسؤولا عن كل شي في خضم الصراع في العائلة الحاكمة حاليا.

حامل الدكتوراه على الحديدة

ومن ضمن ما تحدث عنه المبتعثون في الخطاب غياب أي عناية بالمبتعث بعد عودته واعتباره مسؤولا عن نفسه في ترتيب شـأنه حتى لو وضع في الاعتبار كونه عاش على راتب البعثة المحدود وعليه أن يرتب مقتضـيات رب أسرة باعتباره حامل شهادة دكتوراه وعليه التزامات أكاديمية أو غيرها ينبغي أن يتفرغ لها بدلا من أن يبحث عن مصادر رزق أو يستدين من أجل أن يكوّن نفسه. وهـذا المطلب ليس خيالاـ فشـركات مثل أرامكو تقوم به بشـكل روتيني ودون منّة على المبتعثين وتعتبره الأسـاس في حق المبتعث. أما في حالـة مبتعثي الجامعات فالوضع أسوأ حيث عجزت الدولـة أن تعين العائـدين بشـهادات الدكتوراه في وظـائف أساتـذة مساعـدين، ليس لسـبب أكـاديمي بـل لسـبب مـالي بحث واعتبرتهم معيـدين. وتظهر هذه المشـكلة بشـكل صارخ في جامعـة الملك عبـد العزيز حيث لايزال ثلاثون من حاملي الـدكتوراه على وظيفة معيدين لمدة قـاربت العام الكامل بحجـة عـدم وجود وظائف. أما الـذين تحولت حالهم من معيـد إلى أسـتاذ مساعـد فقد رفضت وزارة المالية معاملتهم بأثر رجعي.

واسطة من الخمسة الكبار فقط

مسألـة أخرى يشـتكي منها المبتعثون هي طريقـة تطبيق نظام الراغبين في الالتحاق بالبعثة حيث يفترض أن لاـ يتمكن من الالتحاق بالبعثـة من بدأ البعثة على حسابه إلا من نجح في احراز مسـتوى معين من النتائج العالية جدا في الدورات الأولى لدراسـته. لكن هـذا الإنجـاز شـبه مسـتحيل ومـع ذلـك فهنـاك الـكـثير يضـافون للبعثـة، والسـبب هو أن النظـام مبني على الاسـتثناءات التي يخول باتخاذها الخمسة الكبار فقط، الملك، عبد الله، سلطان، نايف، سلمان، وفي حالات خاصة تحايلات من السفارة والملحقية. ومعظم المضافين للبعثة دبروا استثناء من أحد هؤلاء بطريقة أو بأخرى. النتيجة أن من حظي بهذه الاستثناءات كثير ممن ليسوا أكفاء لـذلك بل ربما لأسـباب قـد تصـبح فضائـح لو أعلنت. ومن هذه الفضائح أن بعض الذين يعاملون معاملـة البعثة من قبل الملحقية طلاب غير سـعوديين تمت اضافتهم فقـط لعلاقتهم مع أمير معين أو موظف كبير في السفارة.

لا للدور الحضاري

أمـا الاهتمـام بالطلاـب من الناحيـة الثقافيـة وتشـجيعهم لأن يكونوا أكثر ايجابيـة في المجتمع الأـمريكي وخاصـة في مجال الدعوة للإسـلام فالملحقية والسـفارة دائما تقابل أي مطلب بـدعم في هذا المجال بالرفض والتشـكيك بحجة التخوف من آثـاره، مع أن القضـية ليس فيهـا أي مشاكـل لأـن جهات مثل شـركة أرامكو لم تتردد في تزويـد طلابها بـدعم مادي ورتبت لمجموعـة من المطبوعـات والكتب لتسـهيل البرنامـج. وأرامكو لا يمكن أن تعتبر راعيـة للإسـلام لكنها تعاملت مع القضية تعاملا إداريا وقانونيا ورأت أن من حق مبتعثيها عليها دعمهم في نشاطاتهم الثقافية.

أين المشكلة الحقيقية

لكن المبعتين حين كتبوا هـذه الخطابـات لوزير التعليم العـالي والأـمير نـايف ولغيرهم لم يتضـمنوا في الخطاب التشخيص الحقيقي للمشـكلة وهو أن نظام الملحقية واختيار العاملين فيها لا يتم إلا بناء على اختيار الولاء للأمراء والـدولة وليس على اختيار الأمانة والشـعور بالمسؤولية والكفاءة. ومع أن المبتعثين يعرفون تفاصيل كل موظف تقريبا وكيف جيئ به للملحقيـة ومن هو "كفيله" من آل سـعود ألاـ أنهم لاـ يسـتطيعون كتابـة هـذا الكلاـم في تلك الخطابات. مسألـة أخرى لا يسـتطيع المبتعثون كتابتهـا في تلك الخطابـات ويريـدون منا أن ننشـرها هي تحول الملحقيـة مؤسـسة وموظفين إلى أداة لخدمة العائلة الحاكمة والسهر على راحتهم حين يزورون أمريكا أو حين يرسلون من يمثلهم هناك أو حتى لمتابعة شؤونهم الاقتصادية والشخصية في أمريكا. ويتضايق المبتعثون أن يتابع أحدهم معاملة طويلة من أجل أن يؤمن مقعدا على الطائرة في الدرجة السياحية وهو حامل للدكتوراه بينما يرى خدم الأمراء وحواشيهم في الدرجة الأولى وهي مهيأة لهم بلا طلب ولا حجز يأتون متى شاءوا. أما الأمير نفسه فالطائرة بطاقمها مستعدة على مدار الساعة تنقله متى شاء أينما شاء.

نداء

وأكرر مرة أخرى أن هذا التقرير جهد شخصي وأرجو أن يتعاون المبتعثون الآخرون ويرسلوا ما لديهم من معلومات للحركة لعل الحركة أن تصدر تقريرا شاملا أو على الأقل تنشر التعليقات الهامة على هذه الرسالة.